

الوافي في الوفيات

أبكيه ثم أقولُ معذراً له : ... وُفِّقَتَ حينَ تركتَ أُمَّ دارٍ .
جاورتُ أعدائي وجاورَ ربَّه شتَّانَ بين جواره وجواري .
أشكو بعادك لي وأنتَ بموضعٍ ... لولا الردى لسمعتَ فيه سراري .
ما الشرقُ نحو الغربِ أبعدَ شُفَّةً ... من بُعدِ تلكَ الخمسةِ الأشبارِ .
هيهاتَ قد علاقتك أسبابُ الردى ... وأبادَ عمرَكَ قاصمُ الأعمارِ .
ولقد جريتَ كما جريتُ لغايةٍ ... فبلغتَها وأبوكَ في المِضمارِ .
فإذا نطقتُ فأنتَ أوَّلُ مَنْ نطقتُ ... وإذا سكتُ فأنتَ في إضماري .
أُخفي من البُرْحاءِ ناراً مثلَ ما ... يُخفي من النارِ الزنادُ الواري .
وأُخفِّضُ الزَّرفَراتِ وهي صواعدُ ... وأُكفِّفُ العَبدَراتِ وهي جَوارِ .
وأُكفِّفُ نيرانَ الأسرِ ولربِّ ما ... غُلِبَ التَّصبُّرُ فارتَمَ بشَرارِ .
وشهابَ زَندِ الحزنِ إن طاوَعتهُ ... وارٍ وإن عاصيتهُ متوارِ .
ثوبُ الرِّثاءِ يَشِفُّ عمَّما تحتهُ ... فإذا التَّحفتَ بهِ فإنَّكَ عارِ .
قصُرتُ جفوني أم تباعدَ بينها ... أم صُورَتُ عيني بلا أشفارِ .
جَفَّتِ الكرى حتَّى كأنَّ غِرارَهُ ... عند اغتماضِ الطرفِ حدُّ غِرارِ .
ولو استعارتُ رقدةً لدحا بها ... ما بين أجفاني من التيسَّارِ .
أُحيي ليالي التَّسَمِّ وهي تُميتُني ... ويُميتُهنَّ تبلُّجُ الأسحارِ .
والصبحُ قد غمرَ النجومَ كأنَّه ... سيلٌ كما فطفا على الذُّوارِ .
لو كنتَ تُمنعُ خاضَ دونك فتيةً ... منذَّأ بِحُرِّ عواملٍ وشِفارِ .
فدَحَّوْا فُوقَ الأرضِ أرضاً من دمٍ ... ثمَّ انثذوا فبنوا سماءَ غُبارِ .
قومٌ إذا لبسوا الدروعَ حسبتَها ... سُحُباً مُزَرَّرةً على أقمارِ .
وترى سيوفَ الدارعينَ كأنَّها ... خُلُجٌ تُمدُّ بها أكفُّ بحارِ .
لو أشرعوا أيمانهم من طولها ... طعنوا بها عِوضَ القنا الخطَّارِ .
شُوسُ إذا عدِموا الوغى انتجعوا لها ... في كلِّ آنٍ نُجعةَ الأمطارِ .
جنبوا الجيادَ إلى المطيِّ فراوحوا ... بين السروجِ هناكَ والأكوارِ .
وكأنَّهم ملأوا عِيابَ دروعهم ... وغُمودَ أنصُلهم سرابَ قفارِ .
وكأنَّما صَدَّجُ السوابغِ غَرَّهُ ... ماءُ الحديدِ فصاغَ ماءَ قَرارِ .
زَرَدًا وأحكمَ كلِّ مَوْصِلِ حلقةٍ ... بحَبابَةٍ في موضعِ المِسمارِ .

فتدرّعوًا بمتون ماءٍ راكديّ... وتقنّسّعوًا بحباب ماءٍ جارٍ .
أُسْدُ ولكن يؤثرون بزادهم° ... والأُسْدُ ليس تدين بالإيثار .
يتعطّفونَ على المُجاورِ فيهمُ ... بالمُنذِفِساتِ تعطّفُفَ الأطارِ .
يتزيّسنُ النادي بحُسنِ وجوههم° ... كتزيّسنُ الهالات بالأقمارِ .
من كلِّ مَن جعل الطُّبى أنصارَه° ... وكَرُمَنَ فاستغنى عنِ الأنصارِ .
والليثُ إن ساورَ تَه° لم يَتَّكِلْ ... إلاّ على الأنيابِ والأطفارِ .
وإذا هو اعتقل القنّاةَ حسبَتَها ... صِلاّ تَأبَّطَه° هِزَبُ صَارِ .
زَرَدُ الدِّلاصِ من الطُّبعانِ برمحه مثل الأساورِ في يدِ الإسوارِ .
ويجرُّ ثمَّ يجرُّ صعدَةَ رمحه في الجحفلِ المتضايقِ الجرّارِ .
ما بين ثوبٍ بالدماءِ مُضَمَّخٍ ... خَلَقِ ونقعِ بالطِّرادِ مُثَارِ .